الفتوى ليست كلاً مباحاً

obeikandl.com

obeikandl.com

الفتوى ليست كلأ مباحا

ينفرد الإسلام عن غيره من الأديان بأنه لا يقر الطبقية ، فالناس فى المجتمع الإسلامى سواسية فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ، ولا يملك أحد من البشر مقياساً للتقوى ؛ لأنها من الأمور التى لا يطلع عليها أحد إلا الله ﷻ غير أن الحياة لا تسير إلا إذا وُضِعَ كلٌّ فى موضعه طبقاً لإمكاناته وتخصصاته ، فلا يمارس المهندس مهنة الطبيب ، ولا يتصدى الطبيب للشئون الهندسية ، أى أنه لا يقوم أحد بعمل إلا إذا كان قد أتقن - عن طريق التعليم والتدريب- قواعده ، وألَمَّ بكل جزئياته ، وأحاط بالمعرفة اللازمة لممارسة هذا العمل ، وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء :36]

فخوض الإنسان فيما لا يتقنه إهدار للتخصصات ، وضياع للجهد والمال ، وتخريب لمنظومة الحياة ، وبالتالى فهو يؤدى إلى التخبط والبلبلة ، وفقدان الثقة فى مصادر الإنتاج والمعرفة ؛ لأن كُلاًّ يعرف كل شىء ، فإذا بحثت عن الحقيقة ، فهيهات أن تصل إليها ، لأنك لا تستطيع أن تفرق بين من يعرفها حقاً ، وبين من يدعى أنه يعرفها .

ومن هنا فقد حذر الإسلام من ادعاء المعرفة ، ونهى عن الخوض فيما هو مجهول ؛ فلا يجوز لأحد - إسلامياً - أن يتصدى لعمل شىء ما ، إلا إذا كان متأكداً من الإلمام به ، وقادراً على تأديته على أكمل وجه ، يقول رسول الله ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " ؛ ولا يستطيع أحد التفريق بين ما هو خير وما هو شر ، إلا إذا كان عالماً بالموضوع ، وملماً به ، ومتمكناً من كل ما يتعلق به ، بالقدر الذى يؤهله لإتقان ما يقوم به ، يقول رسول الله ﷺ : " **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**"

فإذا ساد هذا المعنى فى المجتمع ، انتظمت خطواته ، وتلاقت أنشطه المختلفة فى منظومته ، يكمل بعضها بعضاً ، فتتلاقح فى نغمات متناسقة ، أو تتدافع فى إطار تنافسى

للوصول إلى الأصلح ، فيأخذ مكانه فى مسيرة التقدم ، ويتفاعل مع مثيله فى بناء صرح الحضارة ، وتشييد منارة التقدم .

أما إذا خاض كلٌّ فيما لا يعرف وادعى ما ليس له ، انزلق المجتمع إلى متاهات لا يعرف المرء فيها طريقاً ، ولا يرى منها مخرجاً ، ولا يسمع إلا أصواتاً متداخلة ، ونغمات متنافرة ، وادعاءات ممجوجة ، تتقاذفه يميناً وشمالا، وتصب فى أذنه تفسيرات وتأويلات تقذف به فى مهاوى الشك والقنوط حيناً ، ولا تبعث عنده الأمل فى اليقين أحياناً أخرى . ولهذا ينبغى على صاحب القرار أن يميز المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ، بحيث يُعْرَفون للجماهير ، فلا يتطفل الجاهلون فى مجال الفتوى الدينية ، فَيَضِلُّوا ، ويُضِلُّوا ، ولا يتصدر أنصاف العلماء لتدريس العلوم الشرعية ، كى تُصان التعاليم الإسلامية من شطحات المفكرين ، وتبقى الأحكام بعيدة عن سقطات غير المتخصصين .

كيف يُمَيَّزون ؟

ينقسم العمل فى مجال الدراسات الدينية إلى قسمين:

الأول : الوعظ والإرشاد والفتوى وإمامة الصلاة ، وتعليم الناس مبادئ الدين وأحكامه .

الثانى : البحوث الأكاديمية التى يهتم الباحثون فيها. بمنطوق النصوص ومفهومها ، وصحة الرواية وفسادها ، كما يركزون على استنباط الأحكام ، مع مراعاة طبيعة العصر – هكذا يجب أن يكون – ومقتضياته ، مما يلبى ضرورات الحياة فى إطار مجتمع دولى ، يركض حثيثاً على طريق العلم والتكنولوجيا ، ويسرع الخطى فى ساحات التقدم والازدهار .

ومن الأمور البديهية أن لكل قسم رجاله ، من حيث التأهيل والتدريب ، والإمكانات ، فمن يعمل فى مجال القسم الأول ينبغى أن يؤهل فى مؤسسات علمية خاصة ، كالأزهر وما يماثله (بكل مراحله : ابتدائى وإعدادى وثانوى وجامعة) ، بشرط أن تكون مناهج التأهيل فيه شاملة لكل ما يحتاج إليه الداعية من علوم وثقافة وتدريب على وسائل العصر فى مخاطبة

الجماهير ، ومواجهة مشاكل المجتمعات المعاصرة . ولا يتحقق الهدف كاملاً إلا إذا كان اختيار العناصر المنفذة لبرنامج التأهيل على وعى تام بمتطلبات العصر ، والاحتياجات اللازمة لمواجهة التيارات الفكرية التى تمج بها المجتمعات ، سواء كانت مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية . بالإضافة إلى مراعاة الدقة فى اختيار المدرسين لهذا المنهج ، حتى لا يخرج إلى الساحة عناصر عاجزة عن الاتصال بالجماهير بسبب قصورهم الذاتى ، أو خلل فى المنهج ، أو عدم وضوح الرؤية عند من يتصدى لتأهيلهم .

ولكى لا يدخل الساحة مُدَّعون ، يبلبلون الأفكار ، ويخدعون الجماهير ، ينبغى أن يكون للدعاة زى خاص بهم لا يشاركهم فيه أحد ، حمايةً لهذا المجال من الانتهازيين ، وصوناً لمبادئ الإسلام من أن يشوهها جاهل ، أو يشيع الفتنة فى المجتمع حقود ، أو يتطاول عدو على مبادئ الإسلام ، فيعلمها لشبابنا بأسلوب يبعدهم عن روح الإسلام الصافية الخلاقة المبدعة ، فيدمر حياتهم بالسلبية والإتكالية ، والاستغراق فى عالم الأساطير والخرافات .

وليس هذا الاقتراح بدعاً من القول ، بل هو قائم على أساس منطقى ، وله مبررات عقلية ؛ ذلك أن دواعى أمن الدولة اقتضت أن يرتدى أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة زياً خاصاً بهم ، حتى لا يدخل فيهم من ليس منهم ، فيرتكب مخالفات تضر بأمن الدولة ، أو يعتدى على أمن المواطنين وحقوقهم . كذلك الحال بالنسبة لأهم جانب يؤثر فى حياة الناس ، ألا وهو الدين ؛ إذ لو فسدت الثقافة الدينية ، لاختلت حياة الناس ، واضطربت أحوالهم ، وضاع الاستقرار النفسى والأمن الروحى ، مما يؤثر على إنتاجهم ، ويعوق مسيرتهم نحو التقدم والازدهار ، فتأمين منابع الثقافة الدينية أمر ضرورى ، بل هو لا يقل أهمية عن حماية الدولة من الأعداء ، أو السهر على أمن المواطنين من المخربين والمنحرفين ، ولهذا ينبغى على صاحب القرار ألا يتوانى فى إصدار قرار يحدد الزى الخاص بالدعاة والأئمة وخطباء المساجد ، بحيث يُجَرَّم من يتعدى عليهم ، فيتزيى بزيهم .

ألا يؤدى هذا إلى تكوين طبقة ، تَمَيَّزَ الإسلام عن غيره بعدم وجودها ، ألا وهى طبقة رجال الدين ؟

لا ، لأن مهمتها تختلف عن مثيلاتها فى الأديان الأخرى ، فهم لا يجوز لهم التشريع كما يُشَرِّع أمثالهم فى المجتمعات غير الإسلامية ، وليسوا مقدسين كما يقدس أتباع الأديان الأخرى رجال الدين عندهم . فالوعاظ والأئمة فى الإسلام لا يختلفون عن أى مسلم آخر فى المجتمع ! فلا يفضلون على غيرهم إلا بالمقياس الدينى العام ، ألا وهو التقوى ، فقد يكون هناك مسلم لا يشتغل بالثقافة الدينية ، وتقواه ترفعه إلى درجة أعلى من درجة الإمام أو الواعظ . إذن ، فتميزهم بزى خاص لا يعطيهم حصانة ، ولا يرفع درجاتهم بين المسلمين إلى مرتبة القداسة ، وليس لهم فى المجتمع إلا احترام الناس لهم باعتبارهم خداماً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما يُكِنُّ التلميذ الاحترام لأستاذه ، أيًّا كانت المادة التى يقوم الأستاذ بتدريسها للتلميذ .

وكما يمنع غير المتخصص فى الدراسات الإسلامية من ارتداء زىِّ الأئمة والوعاظ ومن يتصدرون لتثقيف المسلمين وتفقيههم فى الدين ، كذلك لا يجوز للمتخصصين القيام بأعمالهم ، إلا إذا ارتدوا الزِّىّ الذى يُخَصَّص لهم ، مثلهم فى ذلك مثل رجال القوات المسلحة وأفراد الشرطة .

وليس معنى هذا أن للإسلام زيًّا خاصاً ، يطلق عليه : " الزِّىّ الإسلامى " ، كما يدعى بعض الذين أقحموا أنفسهم فى مجال التحدث باسم الإسلام ، فالرسول ﷺ لبس جميع أردية عصره ، حتى الجبة الشامية ، فيحكى أنها كانت ضيقة عند المعصم ، فكان الرسول ﷺ يخلع يده اليمنى عند الوضوء ، فيغسلها ، ثم يلبسها ، وبعد ذلك يخلع اليسرى ، فيغسلها ، ثم يلبسها . وعدم تخصيص زىّ للمسلمين يدل على أن الإسلام دين عالمى ؟ إذ تتفق عالميته مع عدم تخصيص زى للمؤمنين به ، ذلك أن طبيعة الزى – وشكله – تتعلق بالطقس ، فما يرتديه المرء فى المناطق الحارة لا يمكن لسكان المناطق الباردة ارتداؤه ، وإلا تجمدوا من البرد . فلو سلمنا- جدلاً – أن الجلباب الأبيض " القصير " هو الزِّىّ الإسلامى ، وألزمنا

كل من يعتنق الإسلام بارتدائه ، لانحصرت دائرة المؤمنين به في سكان المناطق الحارة ، لأن تعاليمه – على الأقل فيما يتعلق بالزى – تلائمهم وحدهم ، ولا تتمشى مع متطلبات طقس المناطق الباردة ، إذ لو اعتنق أحد سكان هذه المناطق الإسلام ، لكان لزاماً عليه – بناء على رأى من يخص الإسلام بزىّ معين – أن يرتدى هذا الزىّ ، وهو الجلباب الأبيض القصير ، وفى هذه الحالة سوف يموت من شدة البرد بعد فترة قصيرة ، لا تتعدى بضع ساعات . وبذلك لا يكون للإسلام مكان فى هذه المناطق ؟ لأن من يلتزم بتعاليمه فى هذا المجال ، سوف يموت ، وبالتالى لا يجرؤ أحد... حتى على التفكير فى اعتناقه . ويترتب على هذا أن يقتنع من يسمع هؤلاء المنادين بتحديد زىّ "خاص بالإسلام "، أن هذا الدين لا يصلح إلا لسكان المناطق التى يتلاءم طقسها مع هذا الزى .

ألا يعد هذا متناقضاً مع الدعوة إلى تحديد زىّ خاص لمن يقومون بمهمة التثقيف الدينى ، كالأئمة ، والوعاظ ، وخطباء المساجد ؟

لا ، لأن هناك فرقاً كبيراً بين الاتفاق على– تحديد زىّ خاص – أيًّا كان شكله ولونه وهيئته – لمن يعملون فى حقل الدعوة الإسلامية ، وبين أن يُدَّعَى أن للإسلام زيًّا خاصاً به ، لأن المجتمع فى الحالة الأولى ليس مُلْزَماً بنوع معين من أشكال الملابس ، فهو حر فى اختياره طبقاً لظروف الزمان والمكان ، بخلاف الوضع فيما لو اعتبره شكلاً مقدساً لا يحيد عنه . كذلك يمكن تغييره فى أى وقت إن اقتضت الظروف ذلك ، بخلاف ما لو كان إلزاماً دينياً ، فلا يجوز تغييره ، وإلا ارتكب إثما يعاقب عليه .

هل يقبل الأئمة والوعاظ وخطباء المساجد ارتداء هذا الزى عن طيب خاطر ، خاصة وأن الاتجاه العام يمكن أن يوجه إلى اختيار ما هو معروف لرجال الدين ، وهو العمامة والْجُبَّة (أو ما يطلق عليه " الكاكولا ") ، وهو لبس مُعَوِّق للحركة وسط هذا التدافع فى الشارع المزدحم ، وفى وسائل المواصلات الراهنة ، التى يشترط فيمن يستخدمها أن

يكون سريع الحركة ، بحيث لا تقيدها جُبَّة ، ولا يحد من انطلاقها عمامة فوق الرأس ؟؟؟

أعتقد أنهم سيرحبون به لو اقتصر على طائفتهم ، فذلك سيسهل عليهم كثيراً مما يمكن أن يعانى منه من يرتدى مثل هذا اللباس ؛ فالمساعدة ستُقَدَّم لهم فى كل مكان ، وستزلل لهم الصعاب أينما حلوا ، لأن الناس سينظرون إليهم نظرة إجلال واحترام ، مع العلم بأنه ليس من اللازم أن يرتدوا هذا الزى فى كل الأوقات ، بل يكفى أن يرتدوه أثناء تأدية عملهم ، وما عدا ذلك فهم أحرار فيما يرتدونه .

obeikandl.com